المؤلف : د. محمد الصعيدي

صعدة لماذا ؟

دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب ٥٧٨٩ - ١١٣
بيروت - لبنان

الأهداء

- إلى كل من يشعر بمسئولية تجاه امته ووطنه
- إلى طلائع الأمة من العلماء والمفكرين والشباب أياً كانت مستوياتهم ومراكزهم
- إلى المخلصين من ابناء اليمن الحبيب
- إلى هؤلاء جميعاً اقدم هذه الورقة المتواضعة

محمد

المقدمة

تتابعت الاحداث في مدينة صعدة وضواحيها في السنوات الاخيرة بسرعة متناهية، فمن هجمة الوهابيين على هذا اللواء وتركيزهم عليه وشنهم لحملات التكفير والتشريك المقصودة والمنظمة ضد أبناء هذه المنطقة وعلمائها إلى محاولاتهم لنسف الفكر الزيدي من جذوره التي ظلت مدينة صعدة وضواحيها قلعة شامخة وحصناً منيعاً ضد كل الهجمات الشرسة التي شنت على الفكر الزيدي في اليمن بدعاوي متعددة ومختلفة، وكادت أغلب المناطق خارج هذا اللواء تسقط تحت أقدام هؤلاء (الفاتحين) الجدد ثم جاءت الحملات القمعية التي شنتها بعض اجهزة الأمن قبل الوحدة ضد علماء المنطقة وشبابها الاسلامي متزامنة مع تلك الهجمة او لاحقة لها فسجن الشباب وضيق على العلماء ومورس في حق الفكر وحامليه اعنف حملة عرفتها المنطقة منذ العهد الملكي الحميدي والغريب ان هذا كله قد جاء متداخلا او متزامنا مع التوسع الملحوظ للقوات السعودية داخل الاراضي اليمنية خصوصا في اطراف هذا اللواء الشامخ. كل هذا جعل الناس في عموم اليمن وربما خارجها تتساءل عن الهدف من هذا كله : لماذا صعده بالذات ؟

ولماذا في هذه الفترة بعينها ؟ ومن ثم هل التطبيع الثقافي الذي تمارسه الوهابية بعنف في مناطق صعدة، وأغلب مناطق اليمن يأتي في اطار التوسع السعودي داخل اليمن الذي وصل إلى حد التصادم المسلح مع ابناء قواتنا المسلحة في الحدود الشمالية ؟ وإذا كان كذلك فهل هنالك علاقة بين ماتقوم به الأجهزة القمعية من أرهاب ضد ابناء المنطقة بالحلقتين السابقتين ؟ بصيغة أخرى هل الحلقات الثلاث تكمل بعضها البعض أم أن كل حلقة منفصلة عن سابقتها والتزامن الظرفي هو الذي جمعها فقط ؟

هذه التسائلات التي أثارتها الاحداث وتجاوب معها الناس هي الدافع الرئيسي لكتابة هذه الورقة. إذ اننا نقصد من الكتابة محاولة الاجابة ليس الاَّ وفي سياق الاجابة نسعى لابراز الدور التاريخي والثقافي الذي لعبته وتلعبه مدينة صعدة وبقية المدن التابعة لها ومدى تمسكها ومحافظتها على استقلالها الفكري والثقافي الذي نعتقد أنه حفظ ويحفظ لليمن هويته الثقافية والسياسية أيضاً في وقتٍ تراهن كل القوى الاقليمية والدولية على هوية اليمن ومحاولة استلابه هذه الهوية خصوصاً بعد ظهور النفط وتمتع البلاد بنوع من الاستقرار النسبي.

النقطة الثانية التي نريد توضيحها من خلال هذه الورقة هو أن الاعداء يراهنون على الورقة الطائفية والمذهبية في اليمن وذلك بعد أن كشف الشعب اليمني بيقظته كل أوراق الاعداء الأخرى ولعلنا نلمح الآن وبوضوح تام الخطة المرسومة لتنفيذ وابراز هذه الورقة النتنه.

إن الكتابات التي يشمّ منها رائحة الطائفية والعنصرية التي ظهرت على الساحة اليمنية اليوم مستغلة كل الممارسات الفئوية والعنصرية والجهوية التي تمارسها بعض القوى. كل هذا يجعلنا نلمح هذا المخطط الخبيث الذي يريد لليمن والشعب اليمني الدخول في فتنة لا مخرج منها كما حصل لكثير من أقطار الأمة الاسلامية، ومع هذا فثقتنا بشعب اليمن وعلمائه ومفكريه مطلقة في كشف هذا المخطط والتصدي له، ويكفي أن تدلل على ذلك أن كتابات من امثال كتاب (الجمهورية بين السلطنة والقبيلة) وما تنشره بعض الصحف التي تفوح منها روايح الطائفية البغيضة هذه الكتابات قوبلت من كل فئات الشعب على اختلاف مستوياتهم الثقافية واتجاهاتهم السياسية بالاستهجان والرفض تماما كما قوبلت كتابات البيضاني وغيره.

اننا نحذر الامة من هذه الكتابات كما نحذر من كل الممارسات التي تصب في هذه الخانة.

كما أن الهدف من ابراز مدينة صعدة عبر هذه الورقة وحث

أبناء الأمة على المحافظة عليها وعلى تراثها المعماري والفكري المقصود منه إبراز هذه المدينة التي اشتهرت عبر القرون كونها من مدن العلم والعلماء ونسعى ونطالب كل من له القدرة على ذلك إلى ابراز كل المدن التاريخية والعلمية في اليمن والمحافظة عليها كمدن صنعاء وزبيد وجيلة وتعز وذمار هذه المدن التي كادت أن تفقد كل مقوماتها ومميزاتها التاريخية والمعمارية باهمالها وتجاهل دورها الريادي تارة وبغزو أنماط من العمارة الخرسانية الشاذة التي اكتسحت معالم هذه المدن وشوهت طابعها المعماري المتميز تارةً آخرى .

إن هذه الورقة التي بين ايديكم هي عبارة عن صرخة وحيدة نهدف من ورائها إيقاظ النيام والمتناومين الذين يرون بلدهم يُستلب فكرياً وثقافياً وسياسياً وهم يتفرجون .

المؤلف

صعدة بين نارين

إن موقع مدينة صعدة الجغرافي الهام هو أحد الأسباب الهامة وراء محنتها ومشاكلها فهو الذي جعلها تحترق بين نارين، نار القرب من السعودية ومايترتب عليه من اطماع ومخاوف، ونار البعد عن العاصمة صنعاء ومايترتب عليه من إهمال وتجاهل.

فمن الناحية الأولى يقع لواء صعدة في الحدود مع الجارة الكبرى (المملكة العربية السعودية) إذ يشكل مع لواء الجوف وحجة ومارب كل الألوية الحدودية مع السعودية ويحتل المقام الأول في المعاناة المستمرة والدائمة فمعنى كونه مجاوراً أن تظل أعين هذه الجارة مفتوحة ومركزه عليه خوفاً من يقظة وصمود ومقاومة ابنائه الاشاوس وقبائله الشجاعة وعلمائه العاملين، وطمعاً في نفس الوقت في ضم المزيد من أراضيه وقضم اجزائه.

ونظرة الحذر والطمع هذه ظلت تحكم تصرفات الدولة السعودية منذ قيامه وترسيخ كيانها على يد عبد العزيز آل سعود وحتى اليوم، والاحداث الدموية والحروب التي صاحبت توسعات هذه الدولة يعرفها الجميع فلم يكفيها ماسلبته من اراض يمنية في العهد الملكي وحسب بل انطلقت ومنذ قيام الثورة السبتمبرية سنة ١٩٦٢م مستغلة إنشغال الشعب اليمني بترسيخ النظام الجمهوري لتضم الأراضي اليمنية الواحدة تلو الأخرى ولم تقف عند حد في توسعاتها داخل لواء صعدة وغيره من الألوية المجاورة في شطري الوطن، ولايجهل أحدُ ماجرى ويجرى اليوم فحتى وقت قريب كانت مناطق [الخصراء وبخش](١) جزء لايتجزأ من لواء صعدة وعشرات المناطق الأخرى وقد استمرت في هذا الزحف حتى اصبحت مدينة الخضراء عدت مدن متجهة جنوب المملكة جارفة امامها كل نقاط التفيش الحدودية وتكاد القوات السعودية اليوم تقف على اطراف مدينة صعدة.

كل هذا والحكومة في صنعاء ساكتة

ونظرة الهلع والطمع التي تحكم تصرفات الرياض تجاه اليمن عموماً ومنطقة صعدة خصوصاً هي نفسها التي جعلتها تهب مسرعة لممارسة أعتى حملة للتطبيع الثقافي والسياسي على أبناء

المنطقة ، سواءً عبر اقامة بعض المنشأت(١) الخدمية التي تخفي ورائها اهداف حقيقية للتطبع والتوسع الجغرافي والتي يدركها الفرد العادي في صعدة وغيرها بكل وضوح أو من خلال إرسال قوافل التبشير الوهابي الواسعة الأنتشار تلك الفرق الموغلة في التطرف وزرع الفتن مستخدمة ادواتها في التشكيك بمعتقدات اليمنيين ورميهم بالشرك والأبتداع والضلال والأنحراف عن طريق اتباعها من السذج الذين اصبحوا سواءً بسوء نية أو بحسن نية اداة طيعة لتنفيذ الأهداف التوسعية لآل سعود .

وقد خدموا بشكل رهيب مرامي واهداف آل سعود في بث الفرقة والتناحر وزرع الشقاق بين ابناء هذه المنطقة وغيرها من مناطق اليمن علموا بذلك أم لم يعلموا ، حتى أن البعض منهم قد أصبح يجاهر أنه يقوم بهذا الدور بعلم من حكومتنا أو بعض أجهزتنا .

ومن ناحية إخرى وبسبب موقع منطقة صعدة الجغرافي ايضاً وابتعادها عن العاصمة صنعاء فقد بقيت كمحافظة بعيداً عن أهتمام الدولة ورعايتها بل أن لواء صعدة قد ظل مهملاً ومنسياً من قبل الحكومة في صنعاء سواءً كان ذلك في العهد الملكي قبل الثورة حيث عانى ابناء المنطقة من الظلم والتعنت من قبل الأمام يحى ومن بعده أحمد أكثر من غيرهم من أبناء المناطق الأخرى فقد كانت مدينة صعدة وعلماءها الافاضل محل شك في ولائهم للأمام باستمرار والغريب أن نظرة الشك هذه انتقلت إلى عهد مابعد قيام الثورة التي اعتبرناها واعتبرها الشعب اليمني من ادناه إلى اقصاه المنقذ من الظلم والتخلف ، ولكن وللأسف الشديد ها نحن نرى المنطقة حتى اليوم من اكثر المناطق حرماناً .

فلا مدارس كافية ولا مستشفيات تذكر ، ولاطرقات سالكة تربط الريف بالمدينة ، ولنا أن نتسائل كم مدرسة ثانوية في مدينة صعدة ؟! وكم مدارس اعدادية وابتدائية في ريفها ؟

إن الأجابة مؤلمة ومخيفة خصوصاً إذا علمنا أن اغلب المدارس الأبتدائية والأعدادية قد بناها الأهالي بمفردهم او بالتعاون مع المجالس المحلية للتطوير .

كما أن الأجابة على التساءل الآنف الذكر تعني ان مؤسسة ضخمة كوزارة التربية والتعليم التي تخصص لها الدولة ميزانية كبيرة شبه غائبة عن المنطقة فكيف ببقية مؤسسات الدولة كوزارة الصحة التي لانذكر لها خيراً يذكر اللهم الا مستشفى السلام بصعدة الذي جاء على نفقة آل سعود .

فلمصلحة من تبقى منطقة صعدة محرومة بهذا الشكل؟ ولمصلحة من يبقى ولائها للنظام الجمهوري مشكوكاً فيه من قبل مسؤولي الدولة؟ علامة؟ وكيف؟ ولماذا؟ وإلى متى؟

اسئلة حائرة ستظل تؤرق ابناء اللواء الصامد الذي نعلم ويعلم جميع ابناء شعبنا أن أول زيارة له من مسئول كبير ومنذ قيام الثورة المجيدة كانت في عهد الرئيس علي عبد الله صالح الذي تشرف بالزيارة المنفردة وقبل زيارة الرئيس القائد وبعدها لم نر أحداً من الرؤساء والوزراء المسئولين الكبار في المنطقة رغم تعدد زياراتهم لكثير من مناطق بلدنا الحبيب.

وهكذا بقيت محافظة صعدة وتبقى تشهد تعاقب المحافظين عليها وخروجهم منها بدون طائل هذا إذا لم نقل أنهم قد استفادوا منها أكثر من استفادتها بوجودهم.

إننا نقول هذا بمرارة والغصة في حلوقنا والأسى والحزن في قلوبنا وقد كنا نفضل الصمت على الحديث عن المغانم وتقاسمها بين الأفراد والمناطق، لأننا لم ولن نعتبر الثورة في يوم من الايام توزيعاً للأموال والمناصب والوجاهات كما اعتبرها البعض. إن الثورة أكبر من ذلك بكثير إنها تعني التغيير الجذري لواقع المجتمع نحو الافضل وتعني تحطيم الفساد والظلم مهما كانت قوته ومصدره، إننا ندفع إلى هذا الحديث دفعاً والأحداث تجرنا إلى هذه الساحة بقوة، ومع هذا فلازلنا نعتبر هذا من باب الذكرى التي تنفع المؤمنين. أما أبناء صعدة وعلمائها ومشائخها فستظل مواقفهم -رغم المعاناة والألم- ثابتة تجاه الولاء للعدل والحرية والمساواة وهي المباديء التي رفعها الشعب اليمني وهو يفجر ثورته الابية ويقيم نظامه الجمهوري عام ١٩٦٢م، وقد اثبتت الأحداث أن الممارسات الخاطئة من قبل بعض مسؤولي الدولة تجاه المنطقة لم تفقد أبنائها وعلمائها وقبائلها ولاءها الدائم لوطنهم ونظامهم الجمهوري ولا إغراءات (الاشقاء) وممارساتهم اللاسلامية قد جعلت المنطقة تنسلخ عن تاريخها وتراثها العظيم وتفقد ذاتيتها.

الهوامش

١ - هذه المدن كانت من المدن التابعة لمحافظة صعدة واصبحت اليوم مدن سعودية

(١) مستشفى السلام بصعدة (مثلها)

الهجمة الشرسة ودور العلماء

من نافلة القول التذكير بالدور الذي تحمله أبناء صعدة في الدفاع عن الثورة والجمهورية وعن التراث الاسلامي في اليمن، ونظرة تأمل بسيطة لتاريخنا المعاصر ترينا أن المنطقة ومعها الكثير من المناطق الأخرى في جمهوريتنا الفتية قد ظلت بعيدة كل البعد عن القلاقل والهزات العنيفة التي تلقتها الحكومات المتتابعة في صنعاء منذ اواخر الستينات وحتى فترة قريبة من قبل بعض المجموعات التي جعلت من اطراف المناطق الجنوبية والوسطى منطلقاً لحركتها المسلحة والتي استهدفت بها تحريف المسار وتغيير بنية المجتمع اليمني عموماً وادخال اليمن في اتون الصراعات الاقليمية والدولية، بل إن ابناء صعدة الاوشاس قد هبوا مع ابناء اليمن عموماً لصد تلك الهجمات الشرسة وتحملوا القسط الأوفر في رد تلك الضربات الموجعة التي تلقتها الدولة ممثلةً بمؤسسة القوات المسلحة والأمن وكان لهم الدور الكبير في انقاذ الجيش الذي كاد أن يسقط مترنحاً تحت ضربات الفصائل المسلحة لولا مسارعة ابناء الشعب اليمني وعلى رأسهم العلماء وطلائع الحركة الاسلامية هذا أولاً.

أما ثانياً فقد طلت مدينة صعدة الآبية المنارة الشامخة المتوهجة ولعلها المنطقة الوحيدة التي تعتز بتراث اليمن الزيدي وتستميت في الحفاظ على بنيتها الثقافية والفكرية أمام الهجمة الشرسة والمركزة، التي تشنها حكومة الرياض بواسطة بعض السذج من اتباع محمد بن عبد الوهاب.

ولقد ظل علماء صعدة الأفاضل يمارسون تدريس العلوم الشرعية في المساجد ويحثون أبناء المنطقة على تلقي هذه العلوم وفق النظرة الشمولية للاسلام التي تصنع من الفرد شخصية ايمانية متزنة ويجعل من الداعية إلى الاسلام داعية إلى الألفة والمحبة والتعاون والسعي إلى اصلاح المجتمع وبث الوعي الاسلامي المستنير بين ابنائه بلا تشنج ولا عصبية ولا تفسيق او تكفير لمسلم.

لقد ظل هؤلاء العلماء رغم قلتهم وظروفهم الصعبة- يؤدون واجبهم الشرعي في وقت عز فيه العلماء والبقية الباقية تركوا

مهمة التدريس والوعظ في مناطقهم لأناس لايعلمون من الدين الا القشور ولا يفقهون من الاحكام الآ التكفير والتفسيق والدعوة الى الفرقة والانقسام وذهب اولئك العلماء للتسابق على المناصب الوظيفية و القضائية بنهم.

وبفضل علماء المنطقة الأفاضل أمكن الحفاظ على الشخصية الاسلامية المتزنة الواعية وامكن تحصين ابناء المنطقة من غزو التيارات الوافدة من الشرق ومن الغرب.

ولعل من ايجابيات هذا النهج السليم المعتز بذات اليمن وتاريخه وتراثه العظيم أن ظلت مدينة صعدة محتفظة بطابعها الثقافي المميز بل وحتى بطابعها المعماري الرائع فهي الوحيدة تقريباً التي لم يهدم سورها إلي الآن باعتباره تراثاً عظيماً يجب الحفاظ عليه لا باعتباره جزء من مخلفات الظلم الأمامي الذي اطلقها البعض وهو يهدم سور صنعاء التاريخي.

ومن يدري ان استمرت الهجمة الشرسة على هؤلاء العلماء من قبل الجارة الكبرى وهذا الحيف الكبير من جانب الحكومة فقد يأتي اليوم الذي لانجد فيه عالم شرع واحد يعلم الناس احكام الشريعة الغراء.

لقد افرط الجميع في حرب العلماء ومحاربة تدريس العلوم الشرعية في اغلب مناطق اليمن وفي صعدة على وجه الخصوص تحت شتى الحجج الواهية والمختلفة.

تساؤل وتوضيح

اليس من حقنا أن نتسائل عن سر هذه الهجمة على علماء الزيدية في صعدة؟ وهل إن محافظة ابناء منطقة صعدة على مذهبهم وتراثهم الزيدي جريمة يعاقب عليها القانون؟ وهل وقوف ابناء المنطقة امام إغراءات السعوديين وصمودهم امام توسعهم السرطاني جناية حتى يحاربوا ويضيق عليهم من قبل بعض الاشخاص المتنفذين في اجهزة الدولة؟

وكتوضيح وشهادة أمام الله وامام اجيال الأمة الاسلامية نقول: إن التضييق على علماء الزيدية وطلبة العلم ومحاصرتهم واضطهادهم منكرٌ من اكبر المنكرات وعلى علماء الأمة ومسؤولي الدولة والشعب اليمني عموماً تحمل المسئولية تجاه هذا المنكر، وعلى كل فرد منا أن يقف مع نفسه وقفة تأمل وإعتبار مهتدياً بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الموقف الذي يجب عليه إتخاذه تجاه هذا الموضوع إذ كيف يحارب هذا الفكر الذي ظل على مدار التاريخ الاسلامي في اليمن يحافظ على وحدة اليمن واتزانها واستقلالها وقد شهد له بهذا الاعداء قبل الاصدقاء حتى أن المنصفين من مصلحي الأمة الاسلامية اعتبروا الفكر الزيدي هو الفكر القادر في عصرنا الحاضر على توحيد الأمة الاسلامية المنقسمة إلى سنة وشيعة لما يتسم به من شمولية واعتدال ورحابة صدر.

ومن الغريب أن نلاحظ اليوم من ينطلقون لنشر مذاهب واراء لم يعرفها اليمن بشقية الشافعي والزيدي وبعضها يتسم بالضيق والتعصب واثارة الخلاف والفرقة من الغريب أن نجد هؤلاء يلاقون التسهيلات و توفر لهم الحرية الكاملة ويجدون الباب مفتوحاً لهم بل وقد يدعمون من قبل بعض المسئولين ويجدون الحماية والرعاية بلا قيود بينما اتباع المذهب الزيدي يجدون المضايقة والتشكيك والحصار وينظر اليهم بعين الحذر.

وبعض الاجهزة الحكومية تقف اليوم ضد كل زيدي بحجة انه ملكي!! وهذا خلط خطير ينم عن جهل مطبق اذا أخذنا الأمر بحسن نية حيث اختلطت الأمور على هذه الاجهزة فاصبحت الزيدية

والملكية في نظرها شيئاً وا حداً وتداخلت عليها الرؤى والمواقف ولعل الذي كون لديها هذا الموقف وساعد في تكوين مثل هذه الرؤية العجيبة وجود الكثير من العملاء والمتعصبين ومن اختلطت عليهم الأمور والذين لايريدون لليمن الاستقرار والوحدة كما أن تصرفات اسره حميد الدين ومظالمها للشعب اليمني وتقمصها المذهب الزيدي وادعائها تمثيله في حكمها البعيد كل البعد عنه قد ساهم بشكل كبير في تكوين هذا التصور المغلوط لدى البعض .

وإذاً فقد اصبح لزاماً علينا أن نتكلم بتفصيل أكثر لتوضيح بعض المسائل التي التبست عند البعض سواءً كان هذا الالتباس بحسن ام بسوء نية .

ربط الزيدية بالملكية

إن من أخطر التهم التي يواجهها السطحيون إلى الزيود أنهم يربطون الزيدية بالملكية واعتبار كل من يتبع المذهب الزيدي ملكياً بالضرورة ومن بقايا بيت حميد الدين وبالتالي يحاولون أن يلصقوا به الصفات والتهم التي إلصقت باسرة ال حميد الدين ، ويحاولون بالتالي تلطيخ المذهب واتباعه استناداً إلى الحكم الحميدي البائد .

ونحن نستغرب هذا الربط الساذج الذي ينكره ، كل من لديه ولو ادنى معرفة بالفكر الزيدي وبين أيدينا حقيقة ظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار هذه الحقيقة هي أن المذهب الزيدي قد نشأ وتبلور وانتشر وأقام دولته على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والثورة والخروج على الظالم كائناً من كان ولعل من اكبر المنكرات التي قارعها رجالات الزيدية وأئمتها واستشهدوا في سبيلها هي مانسميه اليوم بالملكية والحكم الجبري والتسلط الفردي والاستيلاء على السلطة بالقوة وقد جاهد رجالات الزيدية على مدار التاريخ لاسقاط مبدأ ولاية العهد الذي خلفة لامتنا الملوك المتجبرين والطغاة المتسلطين من امثال معاوية ويزيد وهشام ومروان وعبد الملك إلى السفاح واسرته إلى يحيى حميد

الدين وابنه أحمد .

حيث ادرك ائمة الجهاد من الزيدية أن السكوت على الظلم يعني المزيد من طغيان الحاكم فكان الخروج وكانت الثورة على الظلم التي بدأها سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام ضد ملكية بني اميه الغاشمة فاستشهد وسبعين من شيعته واهل بيته في سبيل اسقاط يزيد بن معاوية وتبعه زيد بن علي فاستشهد وصلب عارياً في سبيل اسقاط هشام بن عبد الملك ثم تتابعت الثوارت عبر سلسلة طويلة لم تنقطع من يحيى بن زيد إلى محمد النفس الزكية واخيه ابراهيم إلى العشرات من الثورات ضد الظلم والتسلط الفردي والحكم الوراثي وماثورة ١٩٤٨م وهي ثورة العلماء ضد يحيى حميد الدين في سبيل اسقاط مبدأ ولاية العهد الاً إمتداداً لهذه السلسلة وكذلك ثورة سبتمبر وعلى هذا السياق كان تاريخ علماء اليمن منذ انتشار المذهب الزيدي فيها وحتى اليوم ، ومن هنا فمن التبجح والصفاقة والمغالطة أن يتهم الفكر الزيدي بموالاته للحكم الفردي الملكي أو محاباته لمبدأ ولاية العهد الذي رفضه رفضاً مطلقاً حتى في اشد فترات التخلف والانحطاط حتى الذين طمعوا في الوراثة قد فشلوا عبر التاريخ ـ الفشل الذريع في الاستناد إلى مبرر شرعي في النظرية الزيدية للحكم وبالتالي لم يجرأ أحدٌ منهم على القول بها أو بالافصاح عنها .

ولعل ممارسات بيت حميد الدين وطغيانهم قد جنت على الفكر الزيدي أكثر من اي فئة اخرى فقد حكموا اليمن لأكثر من نصف قرن من الزمن وهاهم قد ذهبوا ولم يخلفوا لليمن أي انتاج فكري أو علمي لقد طمس الفكر النير في عهدهم وغيبت عقول الناس وضيق الخناق على اليمن واليمنيين بسوءٍ من الجهل والانغلاق والتقوقع حتى اشتهرت اليمن ابان عهدهم وحتى اليوم بالبلد المنسي الذي يعيش على هامش التاريخ المعاصر هذا مع أن اسرة بيت حميد الدين قد حكمت اليمن في فترة كانت العلوم الشرعية والاجتهاد المفتوح وكتابات الكتب وتصنيف المصنفات في اوج إزدهارها في حين كانت البلاد الاسلامية من مشرقها إلى مغربها ترزح في حالةٍ من الانغلاق والتقوقع بعد أن اغلقت عقول الناس بمغالق حديدية سميت حينها (اغلاق باب الأجتهاد) .

إن سياسة بيت حميد الدين تجاه اليمن واليمنيين كانت سياسة مقصودة ومهدفة الغرض منها حماية عروشهم من السقوط وذلك بتجهيل الناس المتعمد والتضيق على العلماء المجتهدين .

وما مذبحة العلماء سنة ١٩٤٨م التي ارتكبها احمد حميد الدين ضد خيرة ابناء اليمن من علمائه الافذاذ ببعيد، كما أن سياسات القمع والتجهيل هي التي هيأت للامام يحيى حميد الدين في أواخر عهده بابتداع مبدأ ولاية العهد الذي لم يكن الفكر الزيدي يعرفة إلى ذلك التاريخ.

ومن هنا نعلم أن الزيدية بما تحملة من تراث وتاريخٍ ثوري تغييري تعبوي من خلال مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على الظالم هي من هذا المنطلق أقرب إلى الجمهورية والنظام الجمهوري من أي فكر آخر ذلك لأن من اهم مباديء النظام الجمهوري النظرية تغليب مصلحة الأمة على مصلحة الفرد، والفرق الاسلامية الأخرى كالاشاعرة و وغيرها هي التي يمكن أن نتهمها من هذا الجانب فقد وقفت عبر الأزمنة مواقف المهادنة مع الطغيان الفردي والتسلط الوارثي حتى انها كانت شريكاً في كل تصرفات الحكام الظلمة كما هو حال الوهابية اليوم وزواجها الكاثولوكي مع اسرة آل سعود منذ النشأة وحتى الآن.

ولعل من نافلة القول أن نذكر بان الزيدية وتأثيرها بالفكر العقلاني لدى المعتزلة أو تأثر المعتزلة بالفكر الزيدي قد اوجد هذا التراث العقلاني المرتبط بالشرع الذي خلفه علماء ومجتهدي الزيدية، في حين كانت المعتزلة من الفرق المنحرفة ولازالت عند بعض الفرق الاسلامية الظاهرة على السطح اليوم.

والذي يبدو لنا أن المسألة ليست الملكية أو بيت حميد الدين ولكنها تهمة ملفقة وواضحة والغرض منها مطاردة العلماء وطلبة العلم بهذه الحجج السخيفة، والمطروح على الساحة أن كل من هو اسلامي فهو ملكي ورجعي حتى اصحاب الفكر السلفي والأخواني أنفسهم.

ربط الفكر الزيدي بعنصر ونسب معين

المسألة الثانية التي نريد توضيحها رغم قناعتنا التامة بوضوحها هي محاولة البعض ربط الفكر الزيدي بعنصر أو نسب معين من الناس يختصون به دون غيرهم.

وفي هذه المسألة نعتقد أن هذا الربط مفتعل ولا اساس له من الصحة إذ انهم ينسبون الأمر على مفاهيم لم يعد لها من الواقع اي اثر وقد أصبحت جزأً من التاريخ، وعلى الذين يربطون بين العنصرية في الفكر الزيدي وبعض الاجتهادات حول اشتراط النسب في الامام عليهم إن ارادوا الاصلاح والتقويم السليم للتاريخ الاسلامي أن ينظروا إلى تلك الأجتهادات في اطار ظر فها التاريخي ومن هذا المقياس عليهم أن يعلموا أن المسلمين جميعاً قد وقعوا في هذه الاشكالية والتي نعتقد بانها قد جاءت نتيجة لعدم فهم النصوص الشرعية في السنة المطهرة سواءً في شرط (القرشية) وكونهم الأولى بخلافة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما فهمها المسلمون في اطار المدرسة السنية من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ((الائمة من قريش)) أو اشتراط ((آل البيت)) كما فهمها الشيعة الاثناء عشرية ((البطنين)) كما فهمها بعض فرق الزيدية من مجموع احاديث نبوية وصلتهم احادية أو متواترة، ومن هنا فعلى الجميع أن ينظروا اليوم إلى هذه المفاهيم والأجتهادات من منظورها التاريخي ويقيسونها عليه سلباً وايجاباً ولايسحبون هذه المفاهيم على عصرنا الحاضر الذي لايطابق العصور السالفة باي حال من الاحوال.

وتبقى تلك المفاهيم مجرد اجتهادات فردية أو جماعية قد تناسب عصرها لما كان لقريش من غلبة على العرب أو لما عاناه آل البيت من ظلم وطغيان وتصديهم لثورات الاصلاح والوقوف مع المساكين والمستضعفين ضد طبقة الحكام والظلمة.

وقد لاتناسب عصرها، لكنها ومهما كانت حججها وبراهينها لاتناسب عصرنا البتة، ولا تنسجم مع عدل الاسلام إذا مانظرنا اليها بمقياس اليوم، وفي اعتقادنا أن المسالة بالنسبة للفكر الزيدي محسومة من البداية فقبول ولاية المفضول مع وجود الافضل مخرج كبير لمجتهدي عصرنا وفي اجتهادات اسلافنا من

أئمة الفكر الزيدي مخارج اخرى خصوصاً اجتهادات علماء ((الفرقة الصالحية)) وهي احدى فرق الزيدية والتي يتغلب الشورى على اي مبدأ آخر أثناء تنصيب الأمام ولاتقول بالنسب كشرط لذلك ، وعلمنا أن عموم علماء الزيدية اليوم يعتقدو بهذا الاعتقاد ويسيرون على نهجه رغم اجحاف الآخرين واتهامهم بما لايعتقدونه .

ومع هذا كله فنحن ندعو جميع المنصفين من علماء الأمة الاسلامية على اختلاف مشاربهم الفكرية ومذاهبهم الاجتهادية إلى اصدار الفتاوي والأجتهادات التي توضح عدل الاسلام ومساواته بين الناس في الحقوق والواجبات انطلاقاً من فهمنا لمقاصد الشرع العامة وانطلاقاً من مبدإ وحدة الأمة ((إن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون))(١) ((إن اكرمكم عند الله اتقاكم))(٢) ، ولاداعي لجر التاريخ وتحميله مالاطاقة له به فالقرشية وغيرها من الشروط لم يعد لها من الايجابيات اكثر مما لها من السلبيات والاسلام قد عم قريش وغير قريش والصحوة الاسلامية قد عمت العرب والعجم بل ان العجم اليوم هم اكثر حماساً للاسلام من العرب ، كما أن العدو لايفرق في عدائه بين ابناء الأمة الواحدة وورقة الفصائل والفرق والأجناس يلعب بها العدو لضرب الجميع ، فلماذا لايكون الفهم على هذا الأساس مع علمنا أن ورقة الطائفية والعرقية هي سلاح العدو الاخير والأخطر .

لقد أردنا توضيح هذه النقطة بالذات كي نبلغ الحجة لمن ينشد الحقيقة وحتى تكون الامور في اطارها الموضوعي الصحيح ، مع العلم أن الصحوة الاسلامية اليوم قد تجاوزت هذا كله وهي اليوم تبحث عن كيفية انعتاق الأمة ونهضتها منطلقة من شمول الاسلام وعدله أما التاريخ الاسلامي بسلبياته وايجابياته فيبقى لطلائع الأمة وعلماء المجاهدين للعبرة والاعتبار ليس الاَّ .

إن ربط الفكر الزيدي بالعرق والنسب هو ربطٌ مفتعل وغير واقعي وهي تهمة المقصود من اشاعتها محاصرة الفكر النير من الانتشار بين الناس وتشكيك الناس بمعتقداتهم حتى يخلوا الجو لمن يريد ملأ عقول الشباب بافكار دخيلة على واقعنا اليمني مستغلين عاطفة الناس الدينية وتشوقهم إلى الاسلام . انهم يريدون نفي كل الموروث الثقافي لليمن وعند إذٍ يبقى اليمن بغير جذور وبلا هوية والذي ليس له هوية لديه الاستعداد لتقبل اي هوية أخرى مهما كانت مزورة وهذا مايحصل لنا بالنسبة للفكر الوهابي

الضيق الذي يراد له أن يكون تَوطئه لاستلاب اليمن فكرياً وسياسياً لصالح آل سعود ومن ثم لصالح الغرب والأمريكان.

إننا نقول للسذج والمغرضين في نفس الوقت أن الزيدية فكر ومبدأ قبل أن تكون عنصراً أو نسباً وكل فرد من افراد الأمة له الحق في دراستها والتعمق فيها والسير وفق نهجها ولا دخل للنسب بالفكر ولادخل للفكر بتلك الممارسات العنصرية والفئوية التي يمارسها الجهلة من هنا وهناك.

الزيدية والثورة الايرانية

كثر الحديث هذه الايام عن ايران والثورة الاسلامية فيها وكثيراً ماأتهم الشباب المسلم في اليمن بالارتباط بها والتاثر بافكارها بل وبمذهبها وهذه هي الاخرى تهمة مقصودة ومتعمدة الهدف منها تخويف الشباب المؤمن في اليمن من الحديث عن الاسلام

ومؤامرات الاستعمار لوأد الصحوة الاسلامية وكذلك تخويف الناس من الحديث عن الفكر الزيدي وتدريسه والمحافظة على تراثه.

وقد اتخذ المتحاملون من ارتباط الثورة الاسلامية بالكثير من القضايا السياسية التي تفجرت في المنطقة بعد قيام الثورة ذريعة سهلة لمحاربة الشباب المؤمن واحتواء الصحوة الاسلامية التي تعم العالم الاسلامي باكمله وهذا واضح وجلي، وإذا كان لنا من توضيح آخر على تصرفات هؤلاء المنطلقة من اهداف ونوايا مبيته فهو أن الفكر الزيدي قد وجد قبل الثورة في ايران بقرون وبقي وسيبقى بعد الثورة الايرانية واثنائها ومن السذاجة أن نظن فكراً تعمق في المجتمع اليمني لاكثر من الف سنة رهن ببعض المتغيرات في المنطقة او سيكون كذلك.

والأولى لمثل هؤلاء المغرضين أن يقولوا وسيكون لقولهم بعض القبول ان رجالات الثورة الايرانية قد استفادوا من الفكر الزيدي وليس العكس.

إن من المفترض أن يكون لهؤلاء ومن يفكر تفكيرهم من الأجهزة التنفيذية وخاصة في بعض المناطق كصعدة ـ القدرة على فرز

التداخلات السياسية وارجاع كل فرع إلى اصله ومصدره ،أن يدركوا كذلك أن التيار المتشدق بالدين والتي تدعمه السعودية يمثل في النهاية بعداً سياسياً أمريكياً كون آل سعود من صنائع الدول الاستعمارية ومن مصلحة امريكا أن ينتشر مثل هذا الفكر الذي يحول ولاء اتباعه تلقائياً للنظام السعودي . فهم يقولون أن السعودية هي البلد الاسلامي الوحيد وأن مليكها هو أمام المسلمين وخادم الحرمين الشريفين وبالتالي فالوقوف مع اتباع هذا المذهب وتشجيع معتنقيه يعني زعزعة امن واستقرار المنطقة لأنهم يصادمون كل من لايفكر تفكيرهم ويحاربون أي فكر أو رأي أو مذهب لايطابق فكرهم ولايسير في خطه ويعتبرونه بدعة وشركاً ويفتعلون المعارك الوهمية والحقيقة الدائمة والتي يذهب ضحيتها ابناء المنطقة جميعاً .

ولهذا فعلى الدولة أن تدرك الموقف جلياً وأن تتعقل في مواقفها تجاه الجميع ولاتستهويها الانتصارات الوهمية التي يصورها لها اصحاب الخيال المريض عندما تقف مع من يقف ضد الزيدية .

إن الثورة السبتمبرية ماجاءت الا لتخدم مصالح الشعب كل الشعب وتعمل على بث روح والوحدة والمحبة بين كل ابناء الشعب اليمني والمساواة هي الهدف الآسمى للثورة والهم الأكبر لها .

تحت الطبع :

الوهابية وخطرها على مستقبل اليمن السياسي

الفهرس

المقدمة ٦

صعدة بين نارين ١٠

الهجمة الشرسة ودور العلماء ١٤

تساؤول وتوضيح ....

ربط الزيدية بالملكية ١٧

ربط الفكر الزيدي بعنصر ونسب معين ....

الزيدية والثورة الايرانية ٢٢

من الكتاب

ان الكتابات التي يشمّ منها رائحة الطائفية والعنصرية التي ظهرت على الساحة اليمنية اليوم مستغلة كل الممارسات الفئوية والعنصرية والجهوية التي تمارسها بعض القوى. كل هذا يجعلنا نلمح هذا المخطط الخبيث الذي يريد لليمن والشعب اليمني الدخول في فتنة لا مخرج منها كما حصل لكثير من اقطار الامة الاسلامية. ومع هذا فثقتنا بشعب اليمن وعلمائه ومفكريه مطلقة في كشف هذا المخطط والتصدي له، ويكفي ان تدلل على ذلك ان كتابات من امثال كتاب (الجمهورية بين السلطنة والقبيلة) وما تنشره بعض الصحف التي تفوح منها روايح الطائفية البغيضة، هذه الكتابات قوبلت من كل فئات الشعب على اختلاف مستوياتهم الثقافية واتجاهاتهم السياسية بالاستهجان والرفض تماما كما قوبلت كتابات البيضاني وغيره.

كما ان الهدف من ابراز مدينة صعدة عبر هذه الورقة وحث ابناء الامة على المحافظة عليها وعلى تراثها المعماري والفكري المقصود منه ابراز هذه المدينة التي اشتهرت عبر القرون كونها من مدن العلم والعلماء ونسعى ونطالب كل من له القدرة على ذلك الى ابراز كل المدن التاريخية والعلمية في اليمن والمحافظة عليها كمدن صنعاء وزبيد وجيلة وذمار وتعز هذه المدن التي كادت ان تفقد كل مقوماتها ومميزاتها التاريخية والمعمارية باهمالها وتجاهل دورها الريادي تارة وبغزو انماط من العمارة الخرسانية الشاذة التي اكتسحت معالم هذه المدن وشوهت طابعها المعماري المتميز تارة اخرى.

ان هذه الورقة التي بين ايديكم هي عبارة عن صرخة وحيدة نهدف من ورائها ايقاظ النيام والمتناومين الذين يرون بلدهم يُسلب فكريا وثقافيا وسياسيا وهم يتفرجون.

المؤلف